معالم توحيد الاتباع

الأستاذ عبد الغفار البراجيلي

وجود القدوة الحسنة في حياة الأمم والشعوب والدعوات ضرورة حتمية؛ ليقتدى بها، وتكتسب منها المعالم الإيجابية في الحياة: سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض، أو مع النفس وتزكيتها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة، أو مع الأهل والأبناء داخل الأسرة من أجل بناء أسرة متماسكة، أو مع المجتمع في أمور الدين والدنيا.

لذلك جعل الله تعالى الرسول ﷺ قدوة حسنة يجسد الدين الذي أرسل به، حتى يعيش الناس مع هذا الدين واقعًا حقيقيًّا، فكان الرسول ﷺ خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين؛ ليكون منارًا لها إلى يوم القيامة، لذا فإنه يجب على كل مسلم الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ، فالاقتداء أساس الاهتداء، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

لهذه العلة أرسل الله تعالى الرسل ليخالطهم الناس ويقتدوا بهداهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالقدوة لا تزال مؤثرة في النفس الإنسانية؛ لأنها من أقوى الوسائل التربوية تأثيرًا؛ لشغفها بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالًا، ولأنها مهيأة للتأثر بشخصيته ومحاولة محاكاته ولذلك؛ فإن الدعوة بالقدوة أنجح أسلوب لبث القيم والمبادئ التي يعتنقها الداعية.

فمنهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوله إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك كان ﷺ الصورة الكاملة للمنهج:

وهكذا ينبغي أن نتعامل معه كمشروع للتطبيق العملي؛ اقتداء به ﷺ في جميع مناحي حياتنا، وتحويله لواقع ملموس يرى أثره عليهم سلوكًا وتطبيقًا.

وكذلك كان رسول الله ﷺ في جميع مسارات الحياة دون استثناء: في البيت والمجتمع والقيادة والدعوة.

١- قدوة في بيته:

على أفراد الأمة اتباع منهج النبي ﷺ في بيته، والتخلق بأخلاقه التعامل مع الأهل.

فلقد انبثقت سائر أعماله ﷺ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان هذا الخلق واضحًا جليًّا في سيرته العطرة في جميع مناحي حياته الأسرية مع زوجاته وبناته؛ حيث كان يحدثهم بأطيب الكلمات وأرق التعابير، وكان يلاعبهم ويلاطفهم، ويدخل السرور على قلوبهم، ويعدل بينهم، ولقد وصفت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خلق النبي ﷺ حين قالت: «كان خلقه القرآن».

٢- قدوة في مجتمعه:

لقد كان رسول الله ﷺ على درجة رفيعة من الخلق العظيم في التعامل مع مجتمعه، فلم يكن يستعلي على أحد منهم: يقابلهم بالوجه الحسن المبتسم، ويشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، ويهتم بقضاياهم، ويسعى لحلها، ويساوي بينهم جميعًا دون تمييز أو تفريق: عربًا كانوا أو عجمًا، صغارًا كانوا أو كبارًا، ومن هنا استمد المجتمع قوته وصلابته، وصار كالبنيان المرصوص.

٣- قدوة كحاكم وقائد:

لقد عني المصطفى ﷺ بالفرد كأساس لقيام الدولة والمشروع كله تربية وتنشئة وتقويمًا، ومن ثم أرسى في المجتمع أسس العدل والحرية بين جميع أفراد المجتمع.

وكان ﷺ القائد المتواضع الرقيق؛ الذي يسهر على مصالح الناس، ويستشعر قدر المسئولية الملقاة على عاتق المسئول، ويغرس هذا الفهم في النفوس؛ فهو القائل ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته».

وعلى هذا ربى ﷺ أصحابه، فلما تولوا أمر الناس من بعده جعلوه قدوتهم في ذلك، فعزوا وسعدوا وأعزوا أمتهم ودينهم.

٤- قدوة في الإصلاح والتغيير:

واجه النبي ﷺ أوضاعًا سياسية غاية في الفساد، على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، ولمواجهتها وتغييرها أعلن منذ البداية أن الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة هما وحدهما طريق الإصلاح وسبيل التغيير، وأرسى منذ اللحظة الأولى أهم قاعدة للإصلاح والتغيير حين قال: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، وظل ﷺ يغرس

الإيمان في القلوب، ويزكي به النفوس، ويطهر به الأفئدة، ويقيم به بعد ذلك دعائم الدولة.

وهذه كانت نقطة الانطلاق؛ لتحقيق التغيير والإصلاح على كافة الجوانب، وفي مستوياتها المختلفة، على أساسٍ متين من الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة في قلوب أفرادٍ ربانيين، أنشؤوا مجتمعًا صالحًا إيمانيًّا، ودولة ربانية، غيرت وجه التاريخ.

٥- كيفية الاقتداء:

إن أول خطوة في معالم الاقتداء بالنبي الكريم ﷺ هي أن نعرف بمن نقتدي، وفيما نقتدي به، وذلك بمدارسة سيرة النبي الكريم ﷺ وسنته؛ حتى نتعلم كيف كانت حياته، وكيف كانت معاملاته، وكيف كان يسير في جوانب حياته كلها، فإنه ﷺ هو الإنسان الوحيد الذي كانت حياته كلها كتابًا مفتوحًا للجميع، فلم يكن في حياته الجانب الخاص الذي لا يعرفه الناس، بل إن حياته كلها كانت معروفة لأصحابه، ودونت حتى تقرأها أمته من بعده إلى قيام الساعة.

فالواجب علينا الارتباط بالمنهج والقيم الثابتة فيه، ومحاولة تكييف حياتنا؛ كي تتماشى مع هذه القيم الثابتة حتى نجعلها حاكمةً لحياتنا، كما يجب أن نستخرج من خلال قراءتنا لسيرة النبي ﷺ روحه في التعامل مع الأمور، لذا ينبغي أن تكون قراءتنا لحياة نبينا قراءة الباحث عن المنهج الذي يضبط له أموره.

ولا يجب أن يكون اقتداؤنا بالنبي ﷺ في جانب دون آخر، فعلينا الاقتداء الشامل بالنبي الكريم ﷺ في كافة الجوانب، وبذل أقصى جهد لتحقيق ذلك.

إن الاقتداء الحقيقي بالنبي ﷺ يتطلب منا: العمل بسنته باطنًا وظاهرًا، وحبًّا لصاحب المنهج، ومعرفة بمنهجه الذي نريد الاقتداء به فيه، ووعيًا بالقيم العظيمة التي نستلهمها من حياته، والتدرج بالنفس شيئًا فشيئًا حتى تكون صبغتها الدائمة هي الحياة على المنهج النبوي، والاسترشاد بمن اقتدى بالنبي ﷺ من المصلحين ليتحقق الثبات على المنهج النبوي: كتابًا وسنة بفهم سلف الأمة.

> **قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**
> **«فما حيلتنا مع أناس ندعوهم إلى اتباع الكتاب والسنة؛ لينجوا بذلك من العصبية المذهبية، والغباوة الحيوانية، فيأبون علينا إلا أن يستمروا على عصبيتهم وغباوتهم ؟!**
> **وليس هذا فقط، بل ويدعوننا والناس جميعًا إلى أن نقلدهم؛ لنصير ضالين أغبياء مثلهم !! وهنا أتذكر أن من السنة أن يقول المعافى إذا رأى مبتلى: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا»!**
> **ومما لا شك فيه أن المبتلى في دينه، أخطر من المبتلى في بدنه!».**
> **«الآيات البينات في عدم سماع الأموات» (ص٩-١٠).**

السلفية

